من امتي امة قائمة بامرالله تعالى لايضرهم من خذلهم ولامن خالفهم حتى
يأتي امرالله وهم ظاهرون وفيه من الدلالة على صحة الاجماع مالايخفى
والاقتصار على نفسه بهداية الناس للايذان بان اهتداءهم في انفسهم
امر محقق غني عن التصريح به والذين كذبوا بايانا شروع في تحقيق
الحق الذي به يهدي الهادون وبه يضل الضالون وحمل الناس
على الاهتداء به على وجه الترهيب ومحل الموصول الرفع على انه
مبتدأ خبره ما بعده من الجملة الاستقبالية واضافة الايات الى نون
العظمة لتشريفها واستعظام الاقدام على تكذيبها اي والذين
كذبوا بايانا التي هي معيار الحق ومصداق الصدق والعدل سنستدرجهم
اي لستدنينهم البتة الى الهلاك شيأ فشيأ والاستدراج استفعال
من درج اما بمعنى صعد ثم استعمل في كل نقل قدر يجيء سواء
كان بطريق الصعود والهبوط والاستقامة واما مشى مشيا
ضعيفا واما بمعنى طوى والاول هو الانسب بالمعنى المراد الذي هو
النقل الى اعلى درجات المهالك ليبلغ اقصى مراتب العقوبة والعذاب
ثم استعير لطلب كل نقل قدر يجيء من حال الى حال من الاحوال
الملائمة للمنتقل الموافقة لهواه بحيث يزعم ان ذلك ترق في مراقي
منافعه مع انه في الحقيقة تردد في مهاوي مصارعه فاستدراجه
سبحانه وتعالى اياهم انما يوثر عليهم النعم مع انهما كهم في الغي
فيحسبوا انها لطف لهم منه تعالى فيزدادوا بطرا وطغيانا لا لكن
لاعلى ان المطلوب تدرجهم في مراتب النعم بل هو تدرجهم في مدارج
المعاصي الى ان يحق عليهم كلمة العذاب على اقطع حال واشنعها
والاول وسيلة اليه وقوله تعالى من حيث لايعلمون متعلق
بمضمر وقع صفة لمصدر الفعل المذكور اي سنستدرجهم استدراجا

كائنا

كائنا من حيث لايعلمون انه كذلك بل يحسبون انه اثرة من الله تعالى
وتقريب منه وقبل لايعلمون مايراد بهم واملي لهم عطف على
سنستدرجهم غير داخل في حكم السين لما ان الاملاء الذي عبارة
عن الامهال والاطالة ليس من الامور التدريجية كالاستدراج
الحاصل في نفسه شيأ فشيأ بل هو فعل يحصل دفعة وانما الحاصل
بطريق التدريج اثاره واحكامه لانفسه كما يلوح به تغيير
التعبير بتوحيد الضمير مع مافيه من الافتنان المبني عن مزيد
الاعتناء بمضمون الكلام لا بتنائه على تجديد القصد والغريمة
واما ان ذلك للاشعار بمحض التقدير الالهي والاستدراج
بتوسيط المبررات فمبناه دلالة نون العظمة على الشركة وابن
ذلك والا لاحتوازمن ابرادها في قوله تعالى لايحسبن الذين كفروا
انما نملي لهم خير لانفسهم انما نملي لهم الاية بل انما ايرادها
في امثال هذه الموارد بطريق الجريان على سنن الكبريا ان كيدي
متين تقرير للوعيد وتاكيد له اي قوي لايدافع بقوة ولايحيلة
والمراد بهما اما الاستدراج والاملاء مع تحسبهما التي هي الاخذ
الشديد على غرة فتسميته كيدا لما ان ظاهره لطفه تعالى وباطنه
قهر واما نفس ذلك الاخذ فقط فالتسمية لكونه متعمدا مثله كذلك
واما حقيقة الكيد هو الاخذ على خفا من غير ان يعتبر فيه اظهار
خلاف ما ابطنه فيما لا تتويل عليه مع عدم مناسبته للمقام ضرورة
استدعايه لاعتبار القيد المذكور حتما اولم يتفكروا ما بصاحبهم
من جنة كلام مبتدأ مسوق لانكار عدم تفكرهم في شانه صلى
الله عليه وسلم وجعلهم بحقيقة حاله الموجبة للايمان به وبما
انزل عليه من الايات التي كذبوا بها والهمزة للانكار والتعجيب

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)